

من مفسدات القلوب: التعلق بغير الله

الكاتب: محمد صالح المنجد



ومن الأمور التي هي من مفسدات القلب كذلك: التعلق بغير الله عز وجل.

تعس عبد الدرهم

أيها الإخوة: التعلق بغير الله له عدة نواح والكلام فيه من عدة فروع، فمن التعلق بغير الله: التعلق بالدنيا، وقد مثله حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أجود تمثيل في قوله عليه الصلاة والسلام: (تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميصة، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش) هذا الرجل المتعلق بغير الله، فمن الناس من يتعلق بالأموال، فيعمل لها كل همه، فيخرج من الصباح ويسعى ويعمل ويكدح إلى الليل، وربما سهر إلى الساعة الثالثة في الفجر، كما قال بعضهم: امرأة تشتكي زوجها قالت: يخرج الصباح فلا يرجع إلا الساعة الثالثة في الليل، مضيق لزوجته ولأولاده ولبيته ويقول لها: هذه حياتي تريد العيش أهلاً وسهلاً، لا تريد هذا الباب مع السلامة.

فهذا الشخص عبد الدينار والدرهم، وجعل همه للدرهم والدينار، إن رضي فللمال، وإن غضب فللمال وإن سخط فللمال، وإن أعطى فللمال، وإن منع فلاجل المال، وهكذا، فجعل هذا الدرهم والدينار هو معبوده من دون الله، وهو إله الذي يسعى في مرضاته، والكلام في هذا الموضوع كثير، وسبق أن طرحناه عدة مرات في مجالات أوسع من هذا، ولكن هنا فقط إشارة، وهناك أناس يتعلقون مثلاً بمدير أو رئيس مثلاً، فيجعل هذه الرئيس إلهًا يعبد من دون الله، فيطيعه في معصية الله، ويجعل همه في إرضائه، ويتجنب إسخاطه بكل وسيلة ولو أسخط ربه، ويجعل هذا الرئيس إلهًا يعبد، ويكون هو عنده بمثابة الخادم العبد الذليل الذي يفعل له كل شيء، من أجل أن يرضيه، ولا يفكر في إرضاء ربه سبحانه وتعالى، تعس عبد هذا الرئيس.

إرضاء الزوجة

ومن الناس من قد يتعلق أو يجعل همه إرضاء زوجته، تعس عبد الزوجة، فلو أمرته بمعصية الله أطاع، وجرت له إلى مكان معصية ذهب، وهكذا من الأشياء التي قد يقع فيها بسبب إسلامه القيادة لامرأة فاسقة عاصية.

العشق

ومن التعلق بغير الله: العشق، وهذا أمر خطير جدًا، قد وقع فيه كثير من الناس في القديم والحديث، وقالوا فيه الأقاويل والأشعار حتى أوضحت لنا مكنونات أولئك الناس، فإذا أردت أن تعرف عذاب العاشق في الدنيا، فإنه إنسان فإن في محبة معشوقه، ومع ذلك ربما يقرب منه ويبعد عنه ذلك المعشوق ولا يفي له، ويهجره ويصل عدوه، فمعشوقه قليل الوفاء كثير الجفاء، كثير الشركاء سريع التغير، عظيم الخيانة، لا يدوم له معه وصل، فكيف إذا هجره ونأى عنه بالكلية، فإنه يكون عند ذلك جاءه العذاب الأليم، والسم الناقع، الذي يجعل حياته جحيمًا لا تطاق، فالمشكلة تبدأ بالتعلق، أو بالإعجاب.

قد يعجب بشخص من الأشخاص، ثم يتزايد هذا الإعجاب فيقوى، حتى يصبح تعلقًا بحيث إنه لا بد له من أن يلقاه في كل وقت، وفي كل حين، وأن يجلس إليه، وينظر إليه، ويسمع كلامه، ثم تتطور الأمور حتى تصبح عشقًا، فيصبح متيمًا بهذا الشخص، همه إرضاء هذه الشخص قد غلبت محبته لهذا الشخص محبته لله عز وجل، فلذلك يعبده من دون الله ويستولي على قلبه، ويتمكن منه، فصار العاشق عابدًا للمعشوق، يسعى في مرضاته ويؤثره على حب الله، بل يقدم رضاه على رضا الله، وحبه على حب الله، ويتقرب إليه ما لا يتقرب إلى الله، وينفق في مرضاة هذا المعشوق ما لا ينفق في مرضاة الله، ويتجنب في سخط هذا المعشوق ما لا يتجنبه من سخط الله، فعند ذلك يكون عبدًا له

بالكلية، ويكون مشرّكاً مع الله سبحانه وتعالى .
وتأمل كيف قاد العشق امرأة العزيز إلى أن وقعت في المهاموي وعمدت إلى
الفاحشة، وركبت رأسها، وغلقت الأبواب، ودعت يوسف وخانت زوجها،
وأودى الأمر إلى أن يتكلم فيها نساء المدينة، ومع ذلك هي مصرة على
غوايتها، وتقول: {وَلَعِنَّ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ}
[يوسف:32].

فإذًا: أودى العشق بهذه المرأة في مهاوٍ، والشرك قرين للعشق، والتوحيد يبعد
عن العشق تمامًا، ولذلك كافأ الله يوسف بتوحيده لربه فأبعده عن الهلاك
والرذيلة، وجعل تلك المرأة بشركها ملومة مذمومة يتكلم الناس عنها، حتى
اعترفت بذنبها في النهاية، وبرأت يوسف عليه السلام.
وتكلمنا في محاضرة سابقة عن موضوع العشق لكنه -أيها الإخوة- ولم يجر
عادة الكلام فيه، من شاء فليرجع إليه، لكن ينصح في هذا الموضوع بقراءة ما
كتبه العلامة ابن القيم رحمه الله في كتاب الجواب الكافي لمن سأل عن
الدواء الشافي، وكتاب إغاثة اللفهان من مصائد الشيطان، تكلم عنه في
موضع من المجلس الأول وفي المجلد الثاني ربما كان الكلام أكثر في أواخره
تقريبًا، فموضوع العشق هو نتيجة ضعف الإيمان، والقلوب التي لا يكون فيها
إيمان مستقر، فإنه يتطرق إليها العشق، وأنتم أيها الإخوة: لو تأملتم في أكثر
كلمات الأغاني لوجدتم أنها تدور على معاني العشق، وكلها صدرت من
أشخاص قد جربوا العشق أو عشقوا سواء كان الملحن أو المؤلف أو المغني أو
السامع، فإن غالب الكلام إذا تأملت فيه وتبصرت فعلاً بنور الإيمان في كلام
هؤلاء المغنين، لوجدته وصفًا لأحوال العشق، وأنه قد عبر أمامه وأن قلبه قد
أنشد إليه، وأنه أحسن ما في الدنيا، وأنه إذا أعطاه كلمة واحدة من الثناء، فإن
له بالدنيا وما له بالدنيا وما فيها.

ولذلك تقرأ حتى في بعض أشعارهم: (لو كانت ليلى في جهة المشرق، وأنا
أصلي للغرب؛ لتيممت نحوها في صلاتي، ولو أنه بين الحطيم وزمزم)
والكلام كله يدور على معاني العشق، وهذه الأغاني قد دمرت القلوب تدميرًا،
ولعله يتاح لي الفرصة للكلام على مساوئ الأغاني وترسيخ العشق في قلوب

الناس السامعين، لأن بعض الناس يقول: لماذا أنتم تعقدون الأمور جدًّا، والأغاني ماذا فيها؟! موسيقى وكلمات، لكن صدق -بالله العظيم- أن هذه الكلمات والألحان تجر إلى الشرك بالله عز وجل، وتزين العشق للسامعين وللناس، ومن نتائج سماع الأغاني المتكررة، أن يبدأ هؤلاء السامعون للأغاني في عشق النساء والمردان وعشق الصور الجميلة -طبعًا الأشخاص- المحرمة، وينبني عليها فساد عظيم في الدنيا وفي الآخرة، وينبني عليها ثوران الشهوات وينبني عليها تخريب العلاقة برب العالمين، وينبني عليها فساد العبادات، يقول: إياك نعبد وإياك نستعين، الفاتحة، وقلبه متعلق بامرأة أو شخص وهكذا المسألة تسير في هذه الناحية فيجعل جل همه في إرضاء هذا المعشوق وفي طاعته، وباختصار في عبادته من دون الله.

وينبغي أيها الإخوة: أن نعلم أن العشق قد يرتبط بالمحبة، لأن العشق هو عبارة عن محبة، زادت جدًّا حتى وصلت إلى مرحلة أنه صار متيمًّا بهذا الأمر، وبلغ فيه النهاية القصوى، وتخلل قلبه محبة هذا المتعلق به، فينبغي أن نعلم بأن المحبة نوعان:
النوع الأول: محبة نافعة.
النوع الثاني: محبة محرمة.

المحبة النافعة

فالمحبة النافعة ثلاثة أنواع:
النوع الأول: محبة الله وهي الأساس.
النوع الثاني: المحبة في الله، فنحن نحب الأنبياء لأي شيء؟ لصورهم وأشكالهم!! لأن الله أرسلهم، لأننا نحب الله، وهؤلاء جاءوا رسلاً من الله، فنحن نحبهم لأنهم جاءوا من محبوبنا الأعظم من الله سبحانه وتعالى الذي نحبه أكثر من كل شيء، أو هكذا ينبغي أن يكون الأمر.
النوع الثالث: محبة ما يعين على طاعة الله.

والمحبة السيئة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: محبة مع الله، هذا شرك: { وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ
أندادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ } [البقرة: 165] وهذا يقع فيه العاشقون، يقعون في
هذا النوع من الشرك وهو المحبة مع الله، فهذا من أحسن أحوال بعضهم، وإلا
فإن بعضهم نسي الله عز وجل تمامًا، وصار كل همه في محبة المعشوق محبة
مع الله.

النوع الثاني: محبة ما يبغضه الله، وهي مذمومة أيضًا.

النوع الثالث: محبة ما يقطع عن الله، إذا كان محبتك لشيء تقطعك عن الله،
فمحبتك لهذا الشيء حرام، إذا كان التلفزيون يقطعك عن الله، فمحبتك له
حرام، إذا كانت الألعاب -أي لعبة لو كانت مباحة- فلو قال قائل: المحبة مع
الله شرك عرفناه، محبة ما يبغضه الله عرفناها، ولو كانت أفلامًا محرمة، أو
أغاني إلى آخره عرفنا أنها محرمة وأن محبتها محرمة وأن الله عز وجل
يبغضها وأن محبة ما يبغضه الله حرام، لكن ما معنى محبة ما يقطع عن الله؟
يعني: أن هناك أشياء مباحة أصلًا لا يبغضها الله، لكن إذا كانت محبتك لها
تقطعك عن الله، فينبغي أن تبغضها، ولا تحب الأشياء التي تقطعك عن الله
ولو كانت مباحة مادامت تقطعك عن الله.

مثلًا: إنسان محبته لزوجته تمنعه من الخروج إلى صلاة الفجر، ما حكم محبة
الزوجة؟ مباح، بل شيء طيب، بل لا يمكن أن تستقيم الأسرة إلا إذا أحب
الرجل زوجته والعكس، لكن لو أن هذه المحبة صارت إلى درجة أن الرجل من
تعلقه بزوجه صار لا يمكن أن يفارقها، لإجابة نداء المؤذن في صلاة الفجر،
فماذا يكون الحكم؟ هنا صار الأمر محرماً، لأن هذه المحبة في هذا الأمر قد
قطعت عما يحبه الله، فصار تعطيلًا عن العبادة ومنعًا من أدائها، وصار أمرًا
لا يجوز، وقد أجاب ابن القيم رحمه الله في موضوع العشق في إغاثة اللفهان
عن مسألة قال: ما حكم عشق الرجل لزوجته؟ فقال: إنه جائز إلا إذا كان يشغل
عن عبادة الله.

لا يمانع أن الإنسان يحب زوجته جدًا، بشرط ألا يقع في الشرك لكن إذا وصل الأمر إلى أنها توقعه في معصية وتصرفه عن طاعة، فعند ذلك يصبح أمرًا محرّمًا، ومحبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك، كان عشقه للصور أوقع وأكثر في نفسه

المصدر:

محاضرة مفسدات القلوب، لمحمد صالح المنجد

الكلمات المفتاحية:

#مفسدات-القلوب

تنويه: نشر مقال أو مقتطف معين لكاتب معين لا يعني بالضرورة تزكية الكاتب أو تبني جميع أفكاره.

<https://murabet.com>